

دهر البارودي

وكانني أبو فراس على دهره ، بنى البارودي على دهره ؛
لأن البواعث متشابهة ، بل هي واحدة : فقد مات والد البارودي
وهو في السابعة من عمره فلما شب نلت حواله ليدق قلبه
بمخنان أبيه فلم يجده ، فهاج على دهره الذي غال أباه وما كان
قد تمّ له .

وكان البارودي سليل المالك وممترأ بنسبه كأبي فراس ،
وتربى في المدرسة الحربية ، وطابها السيادة والعزة يومئذ ، ولذا
لم يكن يدخلها غير أبناء الطبقات الراقية ، فقوت هذه التربية
الحربية زعما الكرامة والاعتزاز في نفس البارودي .

وشعر البارودي أنه فوق أقرانه ببقرته الحربية : إذ هو أول
من أبلى في حرب إقريطش ، وفي روسيا ، وسطع نجمه في سماء
القيادة الظافرة .

وأحسن كذلك أنه عبقرى في السياسة : فقد كان أمير الخديو
وأمين سره ورسوله في المفاوضات ، وتقلب في مناصب عالية ،
فكان مدير الشرقية ، ثم محافظ المصمصة .

وكذلك في عهد توفيق عين مدير الأوقاف ، ثم ناظر الحربية
مع الأوقاف عند ما ثار الجند على ناظر الحربية عثمان رفقي .

ولأمر ما وشى رياض باشا رئيس الوزارة إلى الخديو توفيق
بأن البارودي يجانب الشعب ويؤثر مصالحه على مصلحة الخديو ،
فاستقال .

ولما أسندت الوزارة إلى شريف — لم يقبل البارودي
الاشتراك فيها حتى ألح عليه الخديو توفيق واستسمحه ، ثم
استقال شريف ، فرأس البارودي الوزارة وفي هذا الحين قامت
الثورة العراقية ، فكان من أمرها أن نفي البارودي مع المنفيين .

وكذلك أحس البارودي أنه عبقرى في الشعر : إذ كان
شعراء عصره أمثال الساعاتى وعمود صفوت يتكسبون بشعرهم ،
وكانوا يقلدون الشعراء المتأخرين في تكلف المحسنات البديعية التي

تنسبهم جمال المعنى ، ولم يتكسر هؤلاء الشعراء المعاصرون
للبارودي جديداً ، أو يُحسبوا من التراث الأسيل تليداً ولكن
البارودي جاء فأحيا القديم ، وولد منه الجيل الكريم ، ولم
يتكسب مثلهم بشعره ، فمزت منزلته في نظر الناس وفي نظر نفسه

الخلان والزمان^(*)

بين أبي فراس والبارودي

للاستاذ محمد محمد الحوفى

(تمة)

ويقرن أبو فراس الدهر بالخلان مكرراً ذلك في غير موضع :
فهو يستنكر أن يعاتب أحداً ، لأن العتاب إنما يكون
للأوفياء والناس كدهرم غادرون :

مالي أعاتب مالي أين يذهب بي قد صرح الدهر لي بالنع والياس
أبني الوفاء بدهر لا أنيس به كأننى جاهل بالدهر والناس
والدهر متحالف مع خلانه على الحيانة :

يادهر خنت مع الأصادق خلتي وغدرت بي في جملة الإخوان
والأيام حية لبت ثوب ناصح :

تصاحبنا الأيام في ثوب ناصح ويبتلنا منها على الأمن أرقم
ويكرر هذه الصورة فيقول :

تكاشرنا الأيام فيمن نجبه ويختلنا منها على الأمن أرقم
وفي أرجوزته الطردية ، يبرج على الدهر فيرميه بالجور والندرة :

ما أجور الدهر على بنييه وأغدر الدهر بمن يصفيه
ولا يزال الدهر يتمثل لأبي فراس في كل شيء حتى في عيادة
سيف الدولة فقد أخره الدهر عنها :

لقد نافسني الدهر (م) بتأخيري عن الحضرة
ويزهو بكثرة حساده ، وحقد دهره عليه :

ولم أر مثلي أكثر الناس حامدا كأن قلوب الناس لي قلب واحد
ألم ير هذا الدهر قبلي فاضلا ولم يظفر الحساد قبلي بماجد ا

ولما كان هذا الدهر هو « صهيونية » أبي فراس الذي
يبغضها وتبغضه ، وينازعها وتنازعها — رأى أن السلامة والسعادة
هي النجاة من غوائل الدهر ، ولذا تراه يدعو لأصدقائه أن يقبهم
الله صروفه فهو يدعو لصديقه وقريبه أبي المشائر ، الأيمسه
الدهر بسوء في أية حال :

لما يا أختي لامسك الدهر إنه هو الدهر في حاله يؤس وأنهم
ويدعو كذلك لتربيته أبي زهير بأن يوقى بلایا الدهر :

يا ابن نصر وقيت صرف الليالي وصروف الردى وكرا الخطوب

وبعد : فليس عجيباً أن أدرك البارودي سمو مكانته النسبية والحربية والسياسية والشعرية - أن تحمده نفسه بأن يستولى على العرش حينها ففكر الضباط في خلع الخديو ، ولا سيما أنه سليل المماليك ، ملوك مصر السابقين .

وإليك هذه الأبيات التي اقتبسها من قصيدة له ، ترى فيها طمع البارودي في أن يستعيد ملك أجداده :

لكننا غرض للشر في زمن أهل العقول به في طاعة الخمل قامت به من رجال السوء طائفة

أدمى على النفس من يؤس على ثكل من كل وغديكاد اللست يدفنه بغضاً ويلفظه الديوان من ملل ذلت بهم مصر بعد العز واضطربت

تواعد الملك حتى ظل في خلل وأصبحت دولة الفسطاط خاضعة بعد الإباء وكانت زهرة الدول إلى أن يقول :

فما لكم لا تعاف الضيم أنفسكم ولا تزول غواشيتكم من الكسل وتلك مصر التي أفضى الجلاذ بها لقيف أسلافكم في الأعصر الأول قوم أقرروا عماد الحق وامتلكوا أزمة الخلق من حاف رمتهم فبادروا الأمر قبل الفوت وانزعوا

شكالة الريث فالدينا مع المعجل وقلدوا أمرهم شهماً أخانقة يكون ردهم الكم في الحادث الجلل ***

نلس في هذه الأبيات إشارة إلى ضعف الخديو واضطراب أمره ، ودعوة مستورة إلى أن يحل محله شهم أخوتقة ، يريد البارودي نفسه ، ومن لها غيره ؟ وهو الحربي المنقر والسياسي المنك والشاعر الأبى ، وهو بعد ذلك سليل المماليك ووارث ملكهم .

قلنا ما تقدم لنخرج منه إلى أن البارودي نشأ يتيماً ، ولا بد للتييم أن يعتمد على دنياه ، وكان سليل أسرة مالكة اندثرت ، فلا بد أن يذم الدنيا التي أداتها ، وكان يتطلع إلى إعادة مجدها فلم يفلح ، فنقم على حظه ومما كسبه زمانه . وكان يشق بمبقرته الحربية والسياسية والشعرية ، ومع ذلك أهين كغيره في الثورة المرابية ، ونفى نفيًا قاسياً ، فخرج هذا المقاب عزته وكبريائه ،

فب دهره الجائر .

رهل رأيت عند أبي فراس أسباباً للثقة على دهره غير هذه الأسباب التي ذكرتها للبارودي أخيراً ، وسيخيل إليك لقوة الشبه بين الأسباب أنني سأعيد عليك شعر أبي فراس تحت اسم البارودي :

فكما كان الدهر حية رقطاء في شعر أبي فراس ، يكون في رأي البارودي ثماناً لادغماً ، أو ذئباً سراوغاً ، وليس الدهر ملهامة أو ملصبة ، ولكنه أزمات ولفجانع ، تبخل بالعمادة على المكدود ، وتجود على الوادعين الرقود :

ألا إنما هذى الليالي عقارب تدب وهذا الدهر ذئب سراوغ فلا تحسبن الدهر لمبة هازل فما هو إلا صرفه والفجانع ألا إنما الأيام تجري بحكمها فيحرم ذو كد ويرزق وادع ولا عهد للدهر ، يفتك بالأمن ، ويخرس القوالة اللسن :

إن الحياة وإن طالت إلى أمد والدهر قرحان لا يبق ولا يندر لا بأمن الصامت المصوم صولته

ولا يدوم عليه الناطق البذر ولما كان الدهر في رأي البارودي مقياس القوة والتأثير شبه الشعر به في رفع الوضوء وإسقاط الشرفاء ، وتراه يكرر الدهر أربع مرات في كل هذه الأبيات الأربعة :

للشعر في الدهر حكم لا يغيره ما بالحوادث من تقص وتخير يسمو بقوم ويهوى آخرون به كالدهر يجري بميسور ومعسور صحائف لم تزل تتلى بالسفة للدهر في كل ناد منه ميجور لولا أبو الطيب المأثور منطقته ما سار في الدهر يوماً ذكر كافر

وكأنما يريد البارودي بذلك أن يعطى الشعر على الدهر ، وأن يفيض الدهر البنيض بما ينسبه للشعر وحده من فضل وشرف .

وكما يدعى أبو فراس ثباته أمام صدمات الدهر ، وأن عزيمته لا يمسا وهن أو كسر ، وكذلك لا يقوت البارودي هذا المعنى فيقول :

وإني أسرؤ تآبني الضيم صولة مواقعها في كل معترك عمر أبي على الحدثان لا يستغزني عظيم ولا بأوى إلى ساحتي دعر إذا صلت سال الموت من وكراته وإن قلت أرخني من أعتته الشعر ويقول وهو أضعف حماسة من سابقه :

تطالبني بيض الصوارم والقنا بما وعدت جدى فى الخبايل
ولكن دهرأ دافمتنى صروفه كما دافع الدين التريم الماثل
بمتذر البارودى كذلك يجبروت الزمان ، ودوائر الحدنان :
فان كنت قد أصبحت فلرزبة تقاسمها فى الأهل باد وحاضر
فكم بطل فل الزمان شبانه وكم سيد دارت عليه الدوائر
وبعد فهذا الذى ذكرناه من دهريات البارودى قليل من
كثير اتخذناه شاهداً على اتحاد الفكرة عند البارودى رأى فراس
انحاداً مجيباً . وكأما بمت الله فى البارودى روح أبى فراس ، ..
فرجعت ما قاله شاعر حدان فيما قاله شاعر المقياس ، أو كأما عاد
التاريخ فصار زمان أبى فراس هو نفسه زمان البارودى وصار
كذلك ناسه هم الناس .

محمد محمد الحوفى

مهد الترية العالى للمعلمين

وزارة العدل

التفتيش الادارى والكتابى

إعلان

تملن وزارة العدل المصالح والجمهور
أن دقتر الزواج رقم ٢١٤٧٣٨ عهدة
الشيخ حسن عمر خليل مأذون ناحية
المقاتلة التابعة لمحكمة السنبلوين
الشرعية فقد ومقيد به المقود من نمرة ١
إلى نمرة ١٦ وبقى أوراقه وعددها ١٤
عقداً بيضاء بخلاف صورها .. فكل من
عرض عليه هذا الدقتر أو بعض أوراقه
أو وجدها بأى الطرق أن يعلم أنها عديمة
القيمة وأن استعمالها يعد من باب التزوير
ويعرض مستعملها للمحاكمة الجنائية
ومجازته بما يقضى به القانون .

٧٩٥٠

فان تكن الأيام رنقن مشربى وثلن حدى بالخطوب الطوارق
فا غيرتنى عن خليقتى ولا حولتنى خدعة عن طرائق
ولكننى باق على ما يسرنى وينضب أعدائى ويرضى أصادق
فحسرة بمدى عن حبيب مصادق كفرحة بمدى عن عدو مماذق
فتلك بهدى والنجاة غنيمة من الناس والدنيا مكيدة حاذق

وكا تجلد أبو فراس أمام ريب الدهر ، ثم عاد فأبدى تحاذله
وضمفه يهود البارودى كذلك بمد تشجمه وتأبيه ، فيستسلم للدهر
ويقرر أنه اضطر إلى الصبر ، ولولا الأوم لهلع وجزع :
صبرت على ريب الدهر ولولا الماذر لم أصبر
ويمزو إخفاقه إلى عجزه وتحاذل طاقته لا إلى جهالته :
فلا تحسبنى جهلت المسواب (م) ولكن همت فلم أقدر
ويجب أن رد المهران عوادى الدهر وفى هذا ما يشعر
بتهيب البارودى له وحذره من نوازله :

سل الجيزة الفيحاء عن هرى مصر

لملك تدرى غيب ما لم تكن تدرى
بناء ان رداً أصولة الدهر عنهما ومن عجب أن يفلباصولة الدهر

وكا لم ينس أبو فراس الدهر وأحدانه وهو حظ بلقاء حبيبته
مشبول بمحادثتها فيقول :

قالت لقد أزرى بك الدهر بمدنا فقلت لماذا الله بل أنت لا الدهر
وقلبت أمرى لا أرى لى راحة إذا البين أنساقى الح بى المجر
فمدت إلى حكم الزمان وحكمها لها الذنب لا تجزى به ولى المنذر
فكا ترى فى هذه الأبيات أن أبى فراس أسلم نفسه لحكم
زمانه وحبيبته ، واستكان لسطوتها وسطوته - ترى أن البارودى
أيضاً خفض جناحيه لمبنى حبيبته وخضع لجمالها كما خضع للدهر
وقوته ، حيث يقول :

لما لفتة الخشف الأغن ونظرة تقصر عن أمثالها الفتحة البكر
ترد القفوس السالمات سقيمة وتعمل ما لاتعمل البيض والسمر
خفضت لها منى جناحى مودة ودنت لمينها كما حكم الدهر

وكا اعتذر أبو فراس من إخفاقه بأن الدهر حاربه وقالبه

قال :